الحياة البرزخية (دراسة تحليلية على ضوء القرآن والسنة)

م. د. جاسم هاتو فاخر

جامعة بابل/ كلية التربية الأساسية

البريد الإلكتروني Email : Almosawi458@gmail.com

الكلمات المفتاحية: البرزخ، التكامل، الحياة، الغيب، الملكوت .

كيفية اقتباس البحث

فاخر، جاسم هاتو، الحياة البرزخية (دراسة تحليلية على ضوء القرآن والسنة)،مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية،٢٠١٩، المجلد:٩ ،العدد:١ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

Grave Life Analytical Study In Light Of The Holy Quran And Sunnah

Dr. Jasim hatu fakhir

University of Babylon / Faculty of Basic Education

Keywords: The isthmus , Integration , life , the unseen , the kingdom.

How To Cite This Article

fakhir, Jasim hatu, Grave Life Analytical Study In Light Of The Holy Quran And Sunnah, Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, Year :2019,Volume:9,Issue: 1.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Summary

The religious sources are full of texts of peremptory origin and the clear indication of the proof of a kind of life and perception of man after his departure from the world in another world called the world of asceticism, as evidenced by other texts on the color of the existential integration of man in that world, and despite the interest of many investigators the question of the world of Isthmus But we did not find them interested in the issue of existential integration of man in the Isthmus explicitly, and the article present in your hands is interested in the statement and analysis of this issue in the light of the Quran and Sunnah, because the revelation is the only tool knowledge of this algae issues beyond the realm of mental and sensory perception.

الخلاصة

زخرت المصادر الدينية بنصوص قطعية الصدور وصريحة الدلالة على إثبات نوع من الحياة والإدراك للإنسان بعد رحيله من الدنيا في عالم آخر اصطلح عليه بعالم البرزخ، كما دلّت نصوص أُخرى على لون من التكامل الوجودي للإنسان في ذلك العالم، وبالرغم من اهتمام الكثير من المحققين بمسألة عالم البرزخ لكن لم نجد من أهتم منهم بمسألة التكامل الوجودي للإنسان في البرزخ بشكل صريح، والمقال الحاضر بين يديك يهتم ببيان وتحليل هذه المسألة على ضوء القرآن والسنة، لأن الوحي هو أداة المعرفة الوحيدة لهذا السنخ من المسائل الخارجة عن دائرة الإدراك العقلي والحسي.

المقدمة

البرزخ في اللغة الحاجز بين الشيئين، واستعمل في ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث، فمن مات فقد دخل البرزخ [انظر: الصحاح، الجوهري، ج١، ص٤١٩، مادة "برزخ"].

ومنه قوله تعالى: **{وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}** [المؤمنون/ ١٠٠]، وفي حديث عبد الله وقد سئل عن الرجل يجد الوسوسة؟ فقال: <**تلك برازخ الإيمان**> [غريب الحديث، ابن سلام، ج٣، ص٤٤٩]، يريد به كما عن الزبيدي: ما بين أوله وآخره، وأول الإيمان الإقرار بالله عز وجل، وآخره إماطة الأذى عن الطريق، أو برازخ الإيمان: ما بين الشك واليقين [تاج العروس، الزبيدي، ج٤، ص٢٦٠، مادة "برزخ"] .

وأمّا في الإصلاح فيقصد بالبرزخ عالم متوسط بين العالم المادي المحسوس (الدنيا)، وعالم الآخرة، وهو عالم شبه مجرد عن المادة أي أن صوره ذات مقدار مجرد عن المادة بخلاف صور هذا العالم فإنها مادية، وبخلاف صور العالم الروحاني المجرد عن كل شئ [أوائل المقالات، الشيخ المفيد، ص٣٩٧].

وقد اتفق علماء المسلمين في الجملة على وجود العذاب والثواب في عالم البرزخ، وأن ذلك نشأة من النشآت خفية عن أبصار أهل عالم الملك والشهادة في الدنيا؛ لكونها من الغيب والملكوت وعالم الآخرة، والحاجب بين العالمين هو تعلق الروح بالبدن العنصري وطرح الحجاب بطرحه [شرح العقيدة الطحاوية، ج١، ص٥٠. إثبات عذاب القبر، أحمد بن الحسين البيهقي، ج١، ص١٢٨].

ولا شبهة في الحياة البرزخية بعد غض النظر عن الجزئيات، فهي محل وفاق، ولا كلام لأحد فيها؛ لأن هناك أدلة من القرآن والسنة تثبت بشكل قاطع هذه الحياة، لكن الأمر الذي لم نجده بوضوح عند علماء المسلمين هو مسألة التكامل الوجودي للإنسان خلال هذه الحياة في عالم البرزخ، فلا شك في التكامل الدنيوي لكن السؤال عن التكامل البرزخي؟

ومن الواضح أن التكامل البرزخي فرع الحياة البرزخية، فما لم نثبت الحياة البرزخية لا يمكننا الكلام عن التكامل البرزخي، وهذا ما سنشير إليه بنحو الاختصار بعد غض النظر عن تفريعات هذين الأصلين؛ لأن فيها كلاماً طويلاً وخلافاً كبيراً لا يحتمله المقال على أنّ مقتضى الخطاب الديني المعتدل بحث الأصول دون الفروع المختلف فيها.

١ . الحياة البرزخية في القرآن الكريم

إن ظاهر بعض الآيات الكريمة المعتضدة بصريح الروايات المستفيضة هو إثبات نوع من الإدراك والحياة للإنسان بعد رحيله عن هذه الدنيا غير الحياة الأخروية، وهو ما يصطلح عليه بالحياة البرزخية، وهي المسماة بعالم القبر، وهو عالم متوسط بين الموت والقيامة، ينعم فيه الميت أو يعذب حتى تقوم القيامة، وإليك بيان هذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة بشكل مختصر:

أ . النصّ الأول: قوله تعالى: **{وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ}** [البقرة/ ١٥٤]، والمراد بالحياة في الآية الحياة الحقيقية دون التقديرية؛ بقرينة نفي الشعور، وأن العيب في مدركاتنا التي تعجز عن إدراك هذه الحياة، على أن الظاهر حجة ما لم تقم قرينة بخلافة حيث يتعين حينئذ الأخذ بمدلول القرينة دون الظاهر إلا ان القرينة في المورد وهي قوله **{وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ}** مؤيدة لظهور الآية الكريمة، وهذا يقويه ويؤكده.

وقد عد الله سبحانه حياة الكافر بعد موته هلاكا وبوارا في مواضع من كلامه، كقوله تعالى: **{أَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ}** [إبراهيم/ ٢٨]، إلى غير ذلك من الآيات.

فالحياة حياة السعادة، والإحياء بهذه الحياة المؤمنون خاصة، كما قال تعالى: **{وَإِنَّ الدَّارَ الْآَخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}** [العنكبوت/ ٦٤]، وإنما لم يعلموا؛ لان حواسهم مقصورة على إدراك خواص الحياة في المادة الدنيوية، وأما ما ورائها فإذا لم يدركوه لم يفرقوا بينه وبين الفناء فتوهموه فنائها، وما توهمه الوهم مشترك بين المؤمن والكافر في الدنيا، فلذلك قال في هذه الآية: **{بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ}** أي: بحواسكم، كما قال في الآية الأخرى: **{لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}**، أي باليقين كما قال تعالى: **{كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ}** [التكاثر/ ٦].

فمعنى الآية بحسب ظاهرها: لا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات، ولا تعتقدوا فيهم الفناء والبطلان كما يفيده لفظ الموت عندكم ومقابلته مع الحياة، وكما يعين على هذا القول حواسكم، فليسوا بأموات بمعنى البطلان بل إحياء ولكن حواسكم لا تنال ذلك ولا تشعر به.

وإلقاء هذا القول على المؤمنين مع أنهم جميعا أو أكثرهم عالمون ببقاء حياة الإنسان بعد الموت، وعدم بطلان ذاته إنما هو لإيقاظهم وتنبيههم بما هو معلوم عندهم، يرتفع بالالتفات إليه الحرج عن صدورهم، والاضطراب والقلق عن قلوبهم إذا أصابتهم مصيبة القتل، فإنه لا يبقى مع ذلك من آثار القتل عند أولياء القتيل إلا مفارقة في أيام قلائل في الدنيا وهو هين في قبال مرضاة الله سبحانه وما ناله القتيل من الحياة الطيبة، والنعمة المقيمة، ورضوان من الله أكبر، وهذا نظير خطاب النبي بمثل قوله تعالى: **{الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ}** [البقرة/ ١٤٧]، مع أنه صلى الله عليه وآله وسلم أول الموقنين بآيات ربه، ولكنه كلام كني به عن وضوح المطلب، وظهوره بحيث لا يقبل أي خطور نفساني لخلافه [انظر: تفسير الميزان، محمد حسين الطباطبائي، ج١، ص٣٤٥].

ويؤيد ذلك رواية الإمام الحسن المجتبى "ع" ضمن بيان الآية الكريمة، وفيها: >**إذا كان هذا نزل فيمن قتل في سبيل الله ما تقولون فينا؟!**< [بحار الأنوار، المجلسي، ج٤٣، ص٣٢٩].

فكلام الإمام صريح في أن الحياة البرزخية لا تختص بالشهداء، ويؤيده عموم رواية أبي العالية في بيان الآية الكريمة، وفيها: >**هم أحياء...**< [شعب الإيمان، البيهقي، ج٧، ص١١٥، ح٩٦٨٦].

وبالنتيجة أنّ الآية تدل دلالة واضحة على حياة الإنسان البرزخية، ولم يخالف أحد في أصل دلالة الآية الكريمة على هذه الحياة إلا أن بعض علماء المسلمين خصصها بشهداء بدر، وسيأتي تنقيح قولهم وجوابه لاحقاً.

ب . النصّ الثاني: قوله تعالى: **{وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ}** [آل عمران/ ١٦٩ . ١٧١].

ظاهر الآية أن المراد بالحياة فيها هي الحياة الحقيقية أيضاً دون التقديرية، كما أن المراد بالموت بطلان الشعور والفعل، والقرينة على هذا الظهور هو ذكر الارتزاق وهو فعل، والفرح الاستبشار، ومعهما شعور.

فالآية الكريمة تدل بظاهرها على أن هؤلاء المقتولين في سبيل الله يأتيهم ويتصل بهم أخبار خيار المؤمنين الباقين بعدهم في الدنيا، وأن هذه البشرى هي ثواب أعمال المؤمنين، وهو أن لا خوف عليهم

ولا هم يحزنون، وليس ذلك إلا بمشاهدتهم هذا الثواب في دارهم التي هم فيها مقيمون، فإنما شأنهم المشاهدة دون الاستدلال، وفي ذلك دلالة على بقاء الإنسان بعد الموت ما بينه وبين يوم القيامة.

ويؤيده رواية سعيد بن جبير في بيان الآية الكريمة، قال: <**لما أصيب حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير يوم أحد قالوا: "ليت إخواننا يعلمون ما أصبنا من الخير كي يزدادوا رغبة"، فقال الله: "أنا أبلغ عنكم"، فنزلت: ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين...**< [مصنف أبي شيبة، ج٤، ص٢١٦، ح١٩٤٣٦].

ودلالة الآية الكريمة بضميمة الرواية الآنفة على ثبوت نوع من الحياة للشهداء بعد شهادتهم واضحة، ويؤيدها رواية جابر، قال: <**أتى رجل رسول الله "ص" فقال: إني راغب نشيط في الجهاد، قال "ص": "فجاهد في سبيل الله ، فإنك إن تقتل كنت حيا عند الله ترزق...**"<، ثم استشهد بالآية الكريمة [مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج١١، ص٩].

هل الآيتان خاصتان بشهداء بدر ؟

نزول الآيتان الكريمتان في شهداء بدر أو غيرهم لا يقتضي تخصيصهما بهم كما يرى ذلك عدّة من علماء المسلمين؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

توضيح ذلك: مذهب بعض محدثي المسلمين ومفسريهم أن أرواح الشهداء اعم من شهداء بدر أو أحد أو بئر معونة أو عامّة الشهداء، في أجواف طير خضر وأنهم يرزقون في الجنة ويأكلون ويتنعمون، واستدلوا على ذلك بالآيتين السابقتين، حيث رووا أنهما نزلا في هؤلاء الشهداء:

فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده إلى أنس بن مالك، قال: <**أنزل في الذين قتلوا ببئر معونة قرآن قرأناه ثم نسخ بعد، بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضى عنا ورضينا عنه**< [صحيح البخاري، ج ٣، ص٢٠٧، باب فضل قول الله تعالى: "وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ..."].

وأخرج في صحيحه أيضاً بسنده إلى جابر بن عبد الله، قال: <**اصطبح ناس الخمر يوم أحد ثم قتلوا شهداء**< [المصدر السابق نفسه].

وأخرج مسلم في صحيحه من طريق مسروق، أنهم سألوا عبد الله بن مسعود عن قوله تعالى: **{وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء...}**، قال: <**أمّا أنّا قد سألنا عن ذلك، فقال: (أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة، فقال: هل تشتهون شيئا؟ قالوا: أي شئ نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا انهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة**

تركوا)< [صحيح مسلم، ج٣، ص١٥٠٢، ح١٨٨٧، باب ٣٣ بيان أن أرواح الشهداء في الجنة وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون].

وأخرج ابن أبي شيبة (ت/ ٢٣٥هـ) في مصنفه، وأحمد (ت/ ٢٤١هـ) في مسنده بسند حسّنه شعيب الأرنؤوط، بسندهما إلى ابن عباس، قال: >**قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله عز وجل أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة، تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم وحسن منقلبهم، قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون بما صنع الله لنا؛ لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا ينكلوا عن الحرب، فقال الله عز وجل: أنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله عز وجل هؤلاء الآيات على رسوله {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء}**< [مصنف ابن أبي شيبة، ج٤، ص٢٠٤، ح١٩٣٣٢، ما ذكر في فضل الجهاد والحث عليه. مسند أحمد بن حنبل، ج١، ص٢٦٥، ح٢٣٨٨، مسند عبد الله بن العباس، الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها].

وأخرج الترمذي، وابن ماجة، وابن حبان، بسند حسن، عن جابر بن عبد الله، من أن رسول الله "ص" قد لقيه، فقال له: >**(يا جابر، ما لي أراك منكسرا؟)، قلت: يا رسول الله، استشهد أبي، قتل يوم أحد، وترك عيالاً وديناً، قال: (أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك؟)، قال: قلت: بلى يا رسول الله، قال: (ما كلم الله أحدا قط إلا من وراء حجاب، وأحيا أباك فكلمه كفاحا، فقال: يا عبدي، تمن عليّ أعطك، قال: يا رب، تحييني فأقتل فيك ثانية، قال الرب عز وجل: إنه قد سبق مني / أنهم إليها لا يرجعون/)، قال: وأنزلت هذه الآية {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً} الآية**< [سنن الترمذي، ج٥، ص٢٠٣، باب ٤ (ومن سورة آل عمران). سنن ابن ماجة، ج١، ص٦٨، باب فيما انكرت الجهمية. صحيح ابن حبان، ج١٥، ص٤٩٠، ذكر البيان بأن الله جل وعلا كلم عبد الله بن عمرو بن حرام بعد أن أحياه كفاحا].

لكن نزول الآيتين في هؤلاء الشهداء لا يقتضي تخصيصهما بهم؛ إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، كما قرر ذلك ابن تيمية في مواضع متعددة من كتبه [مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، ج٣١، ص٤٤. ص٥٨. الفتاوى الكبرى، ج٤، ص١٥٨. ص٢٦٤].

ثم ماذا يقصدون بقولهم إنها نزلت في شهداء بدر، فهي مخصوصة بهم فقط، لا تتعداهم إلى غيرهم؟ وعلى أي صفة يتصورون حياة شهداء بدر بعد قتلهم مع قولهم بانعدام الإنسان بعد الموت والقتل، وانحلال تركيبه وبطلانه؟

أهو على سبيل الإعجاز؟ بأن يكون الله تعالى قد اختصّهم بكرامة لم يكرم بها النبي الأكرم وسائر الأنبياء والمرسلين والأولياء المقربين؛ فخصهم الله ببقاء وجودهم بعد الانعدام.

لكن ليس ذلك بإعجاز بل إيجاد محال ضروري الاستحالة، ولا إعجاز في محال، ولو جاز عند العقل إبطال هذا الحكم على بداهتها لم يستقم حكم ضروري فما دونه.

أم هو على نحو الاستثناء في حكم الحسّ؟ بان يكون الحس مخطئا في أمر هؤلاء الشهداء، فهم أحياء يرزقون بالأكل والشرب وسائر التمتعات . وهم غائبون عن الحس . وما ناله الحس من أمرهم بالقتل وقطع الأعضاء وسقوط الحس وانحلال التركيب فقد أخطأ في ذلك من رأس.

لكن لو جاز على الحس أمثال هذه الأغلاط فيصيب في شئ ويغلط في آخر من غير مخصص، بطل الوثوق به على الإطلاق.

ولو كان المخصص هو الإرادة الإلهية احتاج تعلقها إلى مخصص آخر، والإشكال . وهو عدم الوثوق بالإدراك . على حاله، فكان من الجائز أن نجد ما ليس بواقع واقعا، والواقع ليس بواقع.

ومسلك هؤلاء في هذا القول هو أن الأمور الغائبة عن حواسنا مما يدل عليه الظواهر الدينية من الكتاب والسنة، كالملائكة وأرواح المؤمنين وساير ما هو من هذا القبيل، موجودات مادية طبيعية، وأجسام لطيفة تقبل الحلول والنفوذ في الأجسام الكثيفة، على صورة الإنسان ونحوه، يفعل جميع الأفعال الإنسانية مثلا، ولها أمثال القوى التي لنا، غير أنها ليست محكومة بأحكام الطبيعة من التغير والتبدل والتركيب وانحلاله، والحياة والموت الطبيعيتين، فإذا شاء الله تعالى ظهورها ظهرت لحواسنا، وإذا لم يشأ أو شاء أن لا تظهر لم تظهر، مشية خالصة من غير مخصص في ناحية الحواس، أو تلك الأشياء.

وهذا القول منهم مبني على إنكار العلية والمعلولية بين الأشياء، ولو صح ذلك لبطلت جميع الحقائق العقلية والأحكام العلمية فضلا عن المعارف الدينية، ولم تصل النوبة إلى أجسامهم اللطيفة المكرمة التي لا تصل إليها يد التأثير والتأثر المادي الطبيعي.

٢ . الحياة البرزخية في السنة الشريفة

تقدم أن الآيتين الكريمتين السابقتين . وغيرهما من الآيات الكثيرة الأُخرى التي لا مجال لذكرها هنا . تدلان على الحياة البرزخية، ويؤيد ذلك أحاديث عذاب القبر وأن الميّت ينعم ويعذب بقبره.

فهذه الروايات وغيرها ثبتت أن هناك حياة وراء الدنيا وقبل الآخرة، وهي التي أُصطلح عليها بالحياة البرزخيّة، وأن أصحابها لهم ادراكات كاملة من السمع وغيره، وأن المؤمنين ينعمون في هذه الحياة البرزخية كما أن الكافرين والعاصين يعذبون فيها، وإليك جملة من هذه الروايات:

أ . رواية جابر، وفيها أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: <**إن الكافر يضرب ضربة ما خلق الله شيئا إلا سمعها و يذعر لها إلا الثقلين**> [الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، ج٣، ص٢٣٣].

ب . رواية أمير المؤمنين عليه السلام، وفيها: >**زوروا موتاكم فإنهم يفرحون بزيارتكم، وليطلب أحدكم حاجته عند قبر أبيه وعند قبر أمه بما يدعو لهما**< [المصدر نفسه، ص٢٣٠].

ج . رواية الإمام الصادق عليه السلام، وفيها أن القبر: >**روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار**< [المصدر نفسه، ص٢٤٢].

د . رواية البراء بن عازب، عن النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم، قال: >**إذا أقعد المؤمن في قبره أتي ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت**< [صحيح البخاري، ج٢، ص١٠١، باب ما جاء في عذاب القبر...].

هـ . رواية أم المؤمنين عائشة، أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر، فقال: >**(نعم، عذاب القبر)، قالت عائشة رضي الله عنها: فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر**< [المصدر نفسه، ص١٠٢].

و . رواية قتادة، عن أنس بن مالك، أنه حدثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: >**(إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه، وإنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فيقعدانه، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد صلى الله عليه وسلم؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة، فيراهما جميعا)، قال قتادة: وذكر لنا أنه يفسح في قبره، ثم رجع إلى حديث أنس، قال: (وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقوله الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين)**< [المصدر نفسه، ص١٠٢].

س . رواية أبي سعيد الخدري، قال: >**قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم فإن كانت صالحة قالت: قدموني قدموني، وإن كانت غير صالحة قالت: يا ويلها أين يذهبون بها، يسمع صوتها كل شئ إلا الإنسان، ولو سمعها الإنسان لصعق**< [المصدر نفسه، ص١٠٣، باب كلام الميت على الجنازة].

ح . رواية أنس بن مالك، أن قتلى المشركين في معركة بدر جُعلوا في بئر، فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إليهم، فقال (اللفظ لمسلم): >**(يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان، هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا فانى قد وجدت ما وعدني الله حقا؟)، قال عمر: يا رسول الله كيف تكلم أجسادا لا أرواح فيها؟ قال: (ما أنتم بأسمع لما أقول منهم غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا على شيئا)**< [صحيح مسلم، ج٨، ص١٦٣. صحيح البخاري، ج٥، ص٩].

فهذه الروايات المستفيضة صريحة في إثبات نوع من الإدراك والحياة للإنسان بعد رحيله عن هذه الدنيا غير الحياة الأخروية.

ولا شك أن هذه الحياة البرزخية إن كانت نوعاً من الكمال الوجودي والكرامة فالأنبياء والرسل والأولياء أولى بها، ومنه يتضح أن مجرد رحيل الشفعاء عن هذه الدنيا (الأنبياء والرسل والأولياء) لا يبطل الاستشفاع بهم، بمنع التأثير، باعتبار أنهم أموات لا يسمعون؛ إذ قد ثبت أن هناك حياة برزخيّة.

٣ . النتائج المترتبة على الحياة البرزخية

أهم النتائج المترتبة على القول بالحياة البرزخية هو شرعية الاستشفاع بالأولياء بعد موتهم، فلا خلاف في أصل الشفاعة كعقيدة إسلامية أصيلة، وأن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله هو صاحب الشفاعة الكبرى يوم القيامة، قال ابن تيمية: >**ثبت بالنصوص المستفيضة عن النبي صلى الله عليه وسلم إخراج قوم من النار بعد ما امتحشوا، وثبت أيضا شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الكبائر من أمته، والآثار بذلك متواترة عند أهل العلم بالحديث، أعظم من تواتر الآثار بنصاب السرقة ورجم الزاني المحصن ونصب الزكاة ووجوب الشفعة وميراث الجدة وأمثال ذلك**< [منهاج السنة، ا بن تيمية، ج٦، ٢٠٤].

كما لا خلاف في جواز طلبها من الحي، ومن الشفعاء يوم القيامة كما نصّ على ذلك حديث الشفاعة، ففي رواية معبد بن هلال العنزي، قال: اجتمعنا ناس من أهل البصرة فذهبنا إلى أنس بن مالك، وفيه: >**فيأتون آدم فيقولون: اشفع لنا إلى ربك... فيأتون إبراهيم، فيقولون: أنت نبي الله وخليله من الأرض، اشفع لنا إلى ربك...**< [صحيح البخاري، ج٤، ص١١٣].

لكن الخلاف في جواز طلبها منهم في الحياة الدنيا بعد موتهم، فمنع ذلك السلفية وأنه من الشرك، وجوّزه أكثر المسلمين وأنه مما ندب إليه الشرع وحثّ عليه، فلا يجوز عند السلفية أن يقول المسلم الحيّ بعد رحيل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: يا رسول الله، اشفع لنا عند الله بل ذلك من الشرك عندهم، وإنما يجب طلب ذلك من الله تعالى فقط، بأن نقول: يا الله، شفّع فينا رسولك الكريم [انظر: منهاج السنة، ج١، ص٤٥ . ٤٧].

وجواب الإشكالية:

إن الوجه في عدم جواز الاستشفاع بالشّفاع بعد موتهم: إمّا بمنع التأثير باعتبار أنهم أموات لا يسمعون، أو باعتبار نفي التأثير مطلقاً، فليس لأي شيء تأثير في قبال الله تعالى سواء كان حيّاً أو ميتاً، وقد عاب تعالى من يدعو من لا يستجيب له، وإمّا بمنع عبادة غير الله تعالى باعتبار أن دعاء

غيره تعالى مع اعتقاد أنّ التأثير نوع من العبادة، وهو من الشرك، وإمّا بمنع طلب الحاجة من غير الله تعالى وأن ذلك حرام شرعاً [منهاج السنة، ج١، ص٤٦ . ٤٧].

وكلّ هذه الوجوه محل تأمل بل منع:

أمّا المنع بنفي التأثير باعتبار أنهم أموات لا يسمعون فباطل؛ لما تقدم من ثبوت الحياة البرزخية، وأن هناك حياة برزخيّة، وأنهم يسمعون فيها، وأن المؤمنين ينعمون فيها كما أن الكافرين والعاصين يعذبون فيها، فإذا كانت هذه الحياة نوع كمال وكرامة فالأنبياء والرسل والأولياء أولى بها.

وأمّا المنع بنفي التأثير مطلقاً فباطل؛ لما ثبت في محله أن التأثير في غيره تعالى ضروريّ لا سبيل إلى إنكاره، وقد أسند تعالى في كلامه التأثير بجميع أنواعه إلى غيره، كما في قوله تعالى: **{وَالنَّازِعاتِ غَرْقاً * وَالنَّاشِطاتِ نَشْطاً * وَالسَّابِ . حاتِ سَبْحاً * فَالسَّابِ . قاتِ سَبْقاً * فَالْمُدَبِّراتِ أَمْراً}** [النازعات: ١ . ٥]، وغيرها. نعم الممنوع هو التأثير المستقل لغيره تعالى.

وأمّا المنع باعتبار أن دعاء غيره تعالى عباده فباطل؛ لأنه ليس مطلق الخضوع والتذلّل و التكريم والاحترام عبادة، وإنما حقيقة العبادة هي الخضوع والتذلّل مع التألّيه أي أن يكون المعبود إلهاً، وهذه تختصّ بالله سبحانه وحده.

وإمّا المنع بحرمة طلب الحاجة من غير الله تعالى فباطل؛ إذ لا يرتاب مسلم في منع ذلك وإنما الشفاع هم وسيلة بين يدي الدعاء، ويشملهم عموم قوله تعالى: **{وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ}** [المائدة/ ٣٥].

الخاتمة

يمكن إجمال النتائج التي توصلنا إليها في بحثنا ضمن النقاط الآتية:

١. البرزخ في اللغة الحاجز بين الشيئين، واستعمل في ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث، فمن مات فقد دخل البرزخ، ومنه قوله تعالى: **{وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}**.

٢ـ البرزخ في الإصلاح يقصد به عالم متوسط بين العالم المادي المحسوس (الدنيا)، وعالم الآخرة، وهو عالم شبه مجرد عن المادة.

٣. اتفق علماء المسلمين في الجملة على وجود العذاب والثواب في عالم البرزخ، وأن ذلك نشأة من النشآت خفية عن أبصار أهل عالم الملك والشهادة في الدنيا.

٤. لا شبهة لأحد في الحياة البرزخية بعد غض النظر عن الجزئيات؛ لأن هناك أدلة من القرآن والسنة تثبت بشكل قاطع هذه الحياة، لكن الأمر الذي لم نجده بوضوح عند علماء المسلمين هو مسألة التكامل الوجودي للإنسان خلال هذه الحياة في عالم البرزخ.

٥. إن التكامل البرزخي فرع الحياة البرزخية، فما لم نثبت الحياة البرزخية لا يمكن الكلام عن التكامل البرزخي، كما أنّ التكامل مقتضى الحياة، فلا حياة بدونه في المخلوق كما اثبتته الأدلة الحسية القطعية.

٦ . إن الظاهر حجة ما لم تقم قرينة بخلافة حيث يتعين حينئذ الأخذ بمدلول القرينة دون الظاهر .

٧. إن ظاهر قوله تعالى: **{وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ}** هو إثبات الحياة البرزخية، وأنها بقرينة نفي الشعور حياة حقيقية لا تقديرية، ويؤيده روايتا المجلسي والبيهقي المتقدمتان.

٨. من الآيات الكريمة الأخرى الظاهرة في الحياة البرزخية هي قوله تعالى: **{وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء}**، فالمراد بالحياة في الآية الكريمة بقرينة الارتزاق والفرح الاستبشار هي الحياة الحقيقية، ويؤيده رواية أبي شيبة.

٩. نزول الآيتان الكريمتان المتقدمتان في شهداء بدر أو غيرهم لا يقتضي تخصيصهما بهم كما يرى ذلك عدّة من علماء المسلمين؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

١٠. إن الروايات المستفيضة صريحة في إثبات نوع من الإدراك والحياة للإنسان بعد رحيله عن هذه الدنيا غير الحياة الأخروية، كروايتي أمير المؤمنين والإمام الصادق عليهما السلام، ورواية جابر، ورواية البراء بن عازب، ورواية أم المؤمنين عائشة، ورواية قتادة، ورواية أبي سعيد الخدري، ورواية أنس بن مالك.

١١. أهم النتائج المترتبة على القول بالحياة البرزخية هو شرعية الاستشفاع بالأولياء بعد موتهم، باعتبار أنهم احياء يسمعون دعائنا لكننا محجوبون عنهم، وقد اتفق المسلمون على شرعيته في حياتهم، فملاك الجواز هو الحياة، وهي ثابتة في العالمين اعني عالم الدنيا وعالم البرزخ.

المصادر :

١)إثبات عذاب القبر، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق : د. شرف محمود القضاة، الناشر: دار الفرقان . عمان . الأردن، ط٢، ١٤٠٥هـ.

٢)أوائل المقالات في المذاهب المختارات، الشيخ المفيد، تحقيق: الشيخ إبراهيم الأنصاري ، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢ ، ١٤١٤ هـ . بيروت . لبنان.

٣)بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي المعروف بالعلامة المجلسي، ط٢، ١٩٨٣ م، الناشر: مؤسسة الوفاء ـ بيروت .

٤)تاج العروس، محب الدين الزبيدي الحنفي، تحقيق: علي شيري، الناشر: دار الفكر . بيروت، سنة الطبع : ١٤١٤هـ.

٥)الجامع الصحيح (صحيح البخاري)، محمد بن إسماعيل البخاري، الناشر: دار ابن كثير . بيروت، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، ط٣، ١٤٠٧هـ.

٦)سنن ابن ماجة، محمد يزيد القزويني، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه: محمد ناصر الألباني، الناشر: مكتبة المعارف .

٧)سنن الترمذي، الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: دار إحياء التراث العربي . بيروت. أيضاً: تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، الناشر: دار الفكر . بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.

٨)شرح العقيدة الطحاوية، محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي . بيروت، ط٢، ١٤١٤ هـ .

٩)شعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية . بيروت، ط١، ١٤١٠ هـ.

١٠)الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين . بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ .

١١)صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، الناشر: مؤسسة الرسالة . بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها.

١٢)صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، الناشر: دار الفكر . بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ. أيضاً: الناشر: دار إحياء التراث العربي . بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، ١٣٩٦ هـ.

١٣)غريب الحديث، القاسم بن سلام الهروي، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، الناشر: دار الكتاب العربي . بيروت .

١٤)الكافي، محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، الناشر: دار الكتب الإسلامية . طهران، ط٥، ١٣٦٣ ش.

١٥)مجموع الفتاوى، أحمد عبد الحليم بن تيمية الحرّاني، الناشر: مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤٠٦هـ.

١٦)مستدرك الوسائل، الميرزا حسين النوري الطبرسي، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث . بيروت . لبنان، ط١، ١٤٠٨ هـ .

١٧)المسند، أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق وتعليق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة قرطبة . القاهرة، ط١. أيضاً: الناشر :دارالحديث . القاهرة، شرحه ووضع فهارسه: أحمد محمد شاكر وحمزة أحمد الزين، ط١، ١٤١٦ هـ.

١٨)المصنف، عبد الله محمد ابن أبي شيبة الكوفي، تحقيق: كمال يوسف حوت، الناشر: مكتبة الرشيد . الرياض، ط٢.

١٩)منهاج السنة، ا بن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: مؤسسة قرطبة، ١٤٠٦هـ، ط١.

٢٠)الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية . قم . إيران.

The References

1) Proof of the torment of the grave, Ahmed bin al-Hussein al-Bayhaqi, investigation: d. Sharaf Mahmud al-Qudah, Publisher: Dar al-Furqan Amman Jordan, I 2, 1405 AH.

2) The Early Essays in the Selected Doctrines, Sheikh Mufid, An Investigation: Shaykh Ibrahim Al-Ansari, Publisher: Dar Al-Mufid Printing, Publishing and Distribution, 2, 1414H Beirut Lebanon.

3) Bahar Al-Anwar, Muhammad Baqir Al-Majlisi, known as Al-Majlisi, 2, 1983, Publisher: Al-Wafaa Foundation Beirut.

4) The Crown of the Bride, Muhib al-Din al-Zubaidi Hanafi, Investigation: Ali Cheri, Publisher: Dar al-Fikr Beirut, Year of Publication: 1414 AH.

5) Al-Jama'a al-Saheeh (Saheeh al-Bukhari), Muhammad ibn Isma'il al-Bukhari, Publisher: Dar Ibn Katheer Beirut, Mustafa Deeb Al-Baja, 3, 1407 AH.

6) Sunan Ibn Majah, Muhammad Yazid al-Qazwini, Ruling on his Hadiths and its Effects Commented by: Muhammad Nasser Al-Albani Publisher: Al-Ma'arif Library

7) Sunan al-Tirmidhi, Hafiz Abu Issa Muhammad bin Isa bin Surah Tirmidhi, investigation: Ahmed Mohammed Shaker, Publisher: Dar Arab heritage revival Beirut. Also: Investigation: Abdul Rahman Mohammed Othman, Publisher: Dar al-Fikr Beirut, I 2, 1403 e.

8) Sharh al-'Aqeedah al-Tahawiyah, Muhammad Nasir al-Din al-Albani, Publisher: Islamic Office Beirut, 2, 1414 .

9) Shaab al-Iman, Ahmad ibn al-Hussein al-Bayhaqi, investigation: Muhammad al-Sa'id Basiouni Zaghloul, Publisher: Dar al-Kut al-Sultiyya Beirut, 1, 1410 AH.

10) Al-Sahah, Isma'il Bin Hammad Al-Jawhari, Investigation: Ahmed Abdul Ghafoor Attar, Publisher: Dar Al-Ilm for millions Beirut, I 4, 1407 AH

11) Saheeh Ibn Habban in the order of Ibn Bilban, Muhammad ibn Hibban ibn Ahmad Abu Hatem al-Tamimi al-Basti, publisher: Al-Resalah Foundation Beirut, 2, 1414H, investigation: Shu'ayb al-Arnaout.

12) sahih muslimi, 'abu alhusayn muslim bin alhujaj alniysaburi, alnnashr: dar alfikr bayrut, t 1, 1419 h. dar 'iihya' alturath alearabii bayrut, thqyq: muhamad fuad eabd albaqy, t 1, 1396 h.

13) ghurayb alhadithi, alqasim bin salam alharwi, tahqiq: da. muhamad eabd almaeid khan, alnashr: dar alkitab alearabii bayrut.

14) alkafi, muhamad bin yaequb bin 'iishaq alkalini alrrazi, thqyq: eali 'akbar alghafari, alnashr: dar alkutub al'iislamiat tahran, t 5, 1363 sh.

15) majmue alfatawaa ،'ahmad eabd alhalim bin taymit alharani, alnashr: muasasat qirtabat, t 1, 1406 h.

16) mustadrik alwasayil, almiriza hisyn alnuwriu altabrsi, tahqiq wnshr: muasasat al albayt ealayhim alsalam li'iihya' alturath bayrut lubnan, t 1, 1408 h.

17) almasanidu, 'ahmad bin hnbl alshiybani, tahqiq wataeliq: shueayb al'arniwuwt, alnashr: muasasat qartabat alqahrt, t 1. a.da. 'ahmad muhamad shakir wahamzat 'ahmad alzyn, t 1, 1416 h

18) almusnafu, eabd allah muhamad abn 'abi shaybat alkufi, thqyq: kamal yusif hwt, alnashr: maktabat alrashid alriyad, t 2.

19) munhaj alsanati, a bin timit, tahqiq: d. muhamad rashad salim, alnashr: muasasat qartabati, 1406 h, t 1.

20) almizan fi tafsir alqurani, alsyd muhamad husayn altbatbayy, alnashr: muasasat alnashr al'iislamii alttabieat lijamaeat almudrisin fi alhawzat aleilmiat qum 'iiran.